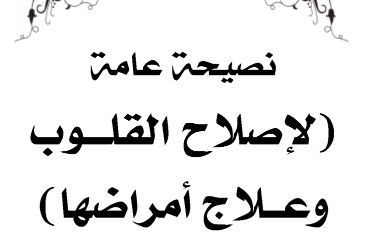


نصيحة عامة

(لإصلاح القلوب وعلاج أمراضها)

للعلامة الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

المتوفى سنة ١٣٨٩

رحمه الله تعالى

اعتنى بها

محمد بن إبراهيم المصري

أصلحه الله تعالى

مكتب العقيدة الإسلامية



الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

رقم الإيداع

١٧٩٣٤/ ٢٠١٥

مكتب العقيدة الإسلامية

٩ شارع العقاد - ميدان ابن سندر - القاهرة

جوال: ٠١٢٢٣٨٣٦١٩٠ / ٠١٢٢٧٦٨٩٨٩٦ (٠٠٢)


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

فإنه لا سبيل لإصلاح القلوب وتزكية النفس إلا سبيل الأنبياء والمرسلين ذلك السبيل الذي هو سبيل أولياء الله الصالحين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من سائر المؤمنين.

ذلك السبيل الذي يبدأ السالك فيه بتحقيق التوحيد وتجريده لله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته سبحانه تعالى.

ثمّ تجريد المتابعة لرسول الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والاقتداء به في طريقته ومنهاجه وسنته في كل صغيرة وكبيرة.

ولا تتمّ له سلامة القلب حتى يسلَم من خمسة أشياء:

١- شرك يناقض التوحيد.

٢- بدعة تخالف السنّة.

٣- شهوة تخالف الأمر.

٤- غفلة تناقض الذكر.

٥- هوى يناقض التجرّد والإخلاص لله تعالى[١].

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا وأن يصلح أعمالنا.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

كتبه

محمد بن إبراهيم

بالقاهرة

---

(١) انظر: «الداء والدواء» للإمام ابن القيم (ص/ ١٧٨).




بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ *

من محمد بن إبراهيم إلى من تبلغه هذه النصيحة من المسلمين، رزقني الله وإياهم الفقه في الدين ومزيد التمسك بما بعث به سيد المرسلين، ومنّ عليّ وعليهم باقتفاء آثار الصدر الأول من سلفنا الصالحين المصلحين، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **وبعد**...

○ فإن من أعظم فرائض الدين التذكير بآيات الله وأيامه في خلقه، والتحدث بنعمه، والتحذير من أسباب نقمه، لما في ذلك

---

* هذه الرسالة موجودة في «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية – طيّب الله ثراه –» (١٣/ ١٨٤: ١٨٧) تحت عنوان «نصيحة عامة».

من أسباب حصول الخير الكثير، والسلامة من حلول العقوبات والتغيير. قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الذاريات /آية: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [سورة ق /آية: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [سورة الضحى /آية: ١١]. وقال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة إبراهيم / آية: ٥].

o وأعظم نعمة أنعم الله بها على عباده بعثه عبده ورسوله محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق، وهما العلم النافع والعمل الصالح.

o وأصل ذلك وأساسه عبادة الله وحده لا شريك له وترك

عبادة ما سواه[1].

○ فأشرقت ببعثته قلوب من استجابوا له بعد ظلامها، وخشعت بعد قسوتها، ونالوا بذلك من القوة بعد الضعف، والعز بعد الذل، والعلم بعد الجهل، ما فتحوا به البلاد وقلوب العباد، وعلت بذلك كلمة الله، وصارت كلمة الكفر إلى السِّفال والفَشَل والإِذْلَال، وعُزِل سلطان الجاهلية والإشراك، فلله الحمد على ذلك.

○ إلا أن إبليس - أعاذنا الله منه - لشدة عداوته لبني الإنسان، وعظيم تغلغله بالكفر والطغيان، ومزيد جده في

---

(١) فأصل صلاح القلوب هو تحقيق التوحيد - بأقسامه الثلاثة - وتجريد المتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خلافاً لمن جهل ذلك أو نقضه، ثم صرف همته لإصلاح ما لا يصلح إلا إذا كان منبنياً على هذه الأصول العظيمة.

الصدف عن طاعة الرحمن، وإن كان قد صدر منه ما صدر من اليأس لم يدع الجد في إطفاء هذا النور، والتنفير من الحق والترغيب في أنواع الكفر والإلحاد والفجور، والدعوة إلى البدع والإكثار من الأزِّ إلى المعاصي والشرور، وبثّ الشبه والشهوات، وألوان المغريات، على أيدي حزبه ومن استجابوا من شياطين الإنس، ومن أنواع الخدع بزينة الدنيا وزخارفها الفتَّانة وضروب الشهوات، وشتى أسباب الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، من أجناس الملاهي وصنوف المسكرات، حتى ثقل على القلوب سماع القرآن وحصل التهاون بوعيده، وعدم الاهتمام بزواجره وتهديده، ولا سيما بعد ما تصرمت أيام القرون المفضلة، فإنه قد اشتد الخطب، وانفتح باب الشر على مصراعيه، ولم يزل في مزيد.

○ وإن كان ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد منّ ببقاء أصل هذا النور، وتأييد هذا الحق، بما أجراه على أيدي علماء الصدق ورثة الرسل

من تجديد هذا الدين وإقامة حجج الله على عباده[١].

○ ومع ذلك فالأمر على ما وصفته من تأثير مساعي إبليس وجنوده على الأكثر حتى اشتدت الكربة، وصار الدين في غاية من الغربة[٢]، ولا سيما أزماننا هذه التي صار فيها عند الأكثر

(١) يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتواتر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»، وهذه الطائفة كما فسَّرها الإمام أحمد وابن المبارك وابن المديني ويزيد بن هارون وأحمد بن سنان والبخاري: هم أهل الحديث؛ والمراد كل من اعتقد عقيدة أهل الحديث والسنة، فإن زاد على ذلك الاشتغال بعلم الحديث رواية ودراية فهو نور على نور. وانظر «شرف أصحاب الحديث» [٣٩: ٤٦].

(٢) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما رواه مسلم وغيره: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**»، وهم أيضاً أهل الحديث. وانظر

المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعةً، والبدعة سنةً.

○ رُبِّي على ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطفى طوفان المادة، وأخفى غبارُ الشبهات والشهوات وضوحَ الجادة، وفشا الجهل، وتكلم في الأمور الدينية من ليس لها بأهل، حتى صرَّح من صرَّح من جهلتهم فيما يكتبونه وينشرونه بمزيد الحث والتحريض على ما هو من أعظم ما يهدم الإسلام، وَيُنْسِي أصوله العظام، وأصبحت القلوب إن لم تمت في غاية من أنواع الأمراض، مرض الجهل، ومرض الشهوة، ومرض الشبهة، حتى استولت عليها القسوة والظلمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

○ فيا لها من أمراض ما أصعبها مع الإعراض عن الأدوية المحمدية، وما أسهلها وما أخفها وما أسرع بُرْأها متى عولجت

رسالة «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» (ص/ ٨: ١٩) للحافظ ابن رجب.

بالدواء الذي بعث به طبيب القلوب الأكبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ وقد سمى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجهل[1] مرضاً لما ينشأ عنه من عمى القلوب[2] الذي هو المرض - أيّ مرض - وفيما بعث به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والسنة لهذه الأمراض أنجع دواء وأنفع شفاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس / آية:

---

(١) قال ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»:

والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقانِ

علم من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني

(٢) قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

فالجهل أصل ضلال الخلق قاطبة ... وأصل شقوتهم طراً وظلمهمِ

والعلم أصل هداهم مع سعادتهم ... فلا يخيب ولا يشقى ذوو الحكمِ

٥٧]. وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [سورة الإسراء / آية: ٨٢].

○ فَهَلُمَّ إخواني نداوي هذه الأمراض بأدوية كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتدبر أوامرهما ونواهيهما ووعدهما ووعيدهما وزواجرهما، ومذاكرة بعضنا مع بعض، وقيامنا لله مثنى وفرادى لنتذكر ونتفكر ونتناصح ونتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر، ونحب في الله ونبغض في الله، ونوالي في الله ونعادي في الله، ونتعاون على البر والتقوى، ونبحث عن أدوية تلك الأمراض التي تحصيلها من أسهل شيء عندما تحصل القلوب على الصدق في طلب هذا الدواء، والإقبال على الله في التماس السلامة من تلك الأدواء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سورة سبأ / آية: ٤٦].

○ هَلُمَّ إخواني نشخص سائر أمراض قلوبنا ونشخص أدويتها، ونجاهد نفوسنا على معالجتها من تلك الأمراض المهلكة، ويحض بعضنا بعضاً، ويحذر كل منا نفسه وأخاه من وبيل أخذ الله وشديد عقابه الدنيوي والأخروي، ومن الإقامة على أسباب تغيير ما منَّ الله به من التوحيد، وتحكيم الوحي المحمدي والعز والتأييد، والأمن والصحة والهدوء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(١) [سورة الرعد / آية: ١١].

(١) وفي هذه الآية بيَّن تعالى أنّه لا يغيِّر ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والعمل الصالح، وهذا التغيير يصدق بأن يكون من البعض فما البال إذا كان من الكلّ إلا من رحم الله، وما أعظم البليّة إذا كان تغييراً في أصول العقيدة. وانظر: «أضواء البيان» (٣/ ٧٢، ٧٣)، (٢/ ٣١٠) للعلّامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

○ وفي الأثر: «أن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا حول الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون»(١).

○ إخواني إن ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لم يغير على قوم نوح بإهلاكهم بالطوفان وسائر من أوقع بهم عقابه وأحل بهم سطوته إلا بعد

---

(١) هذا الأثر قد دلّت على معناه آيات متعددة من كتاب الله، ولكنه أثر مقطوع ضعيف الإسناد: فقد أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢٠١) - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٨) - قال: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن إبراهيم قال فذكره، وهو مقطوع لأنه كما ترى موقوف على إبراهيم وهو النخعي، وضعيف لضعف أشعث وهو ابن سوَّار، وانظر: «التقريب» (٥٢٤)، و«التهذيب» (١/ ٢٢٣، ٢٢٤) كلاهما للحافظ ابن حجر، و«ظلال الجنة...» (ص/ ٤١٩، ٥٥٨) للعلّامة الألباني، و«الدرّ المنثور...» (٤/ ٥٦).

أن غَيَّروا، بمعصيتهم رسله وفسقهم عن طاعته فاستوجبوا التدمير؛ ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا[1] مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء / آية: ١٦، ١٧].

○ هَلُمَّ إخواني لإمساك بعضنا بيد بعض وتنشيط بعضنا لبعض إلى اليقظة والانتباه من هذه الرقدة التي طالما انتهز عدونا فيها الفرصة.

○ هَلُمَّ إخواني للتوبة النصوح إلى ربنا ورجوعنا مما يسخطه

---

(١) الأمر الذي في هذه الآية الكريمة أمر كوني وليس أمراً شرعياً على الأرجح في تفسير هذه الآية الكريمة وقد نصره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيّن رجحانه من سبعة أوجه، وانظر كتابه «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص/ ٦٠١، ٦٠٢)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٣)، و«تيسير الكريم الرحمن» للعلّامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى ما يرضيه قولًا وفعلًا، ومعاملة لبعضنا مع بعض بإخلاص وصدق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١) [سورة التوبة / آية: ١١٩]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) قال العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - فيما كتبه بعنوان «أهمية الصدق وضرورته لقيام الدنيا والدين» (ص/ ١): «إن خُلُق الصدق من أعظم مقومات الدين والدنيا، فلا تصلح دنيا ولا يقوم دين على الكذب والخيانة، والصدق والتصديق هو الرباط الوثيق بين الرسل ومن آمن بهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة الزمر/آية: ٣٣، ٣٤]، وقال في الكذب والتكذيب: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الزمر/ آية: ٣٢]».

وانظر بقية مقاله - حفظه الله - ففيه فوائد ومعانٍ عظيمة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التحريم / آية: ٨].

وصلى الله على نبينا محمد و[على] آله وصحبه أجمعين.

❀ ❀ ❀